مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مُحَكَّمَةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٌ

إشكالية تقويم النظم التعليمية في عصر المقارنات الدوليـــة ـ قراءة تحليلية في الأسس والنظرية والرهانات التربوية

ط . د. وفاء داري
برنامج التعليم والتعلم - كلية الدراسات العليا- جامعة النجاح الوطنية فلسطين
0009-0003-1951-8213

تاريخ الاستلام 22 / 5/ 2026م تاريخ القبول24 / 8/ 2026م

The Problematic of Evaluating Educational Systems in the Era of International Comparisons: An Analytical Reading of Theoretical Foundations and Educational Stakes

Wafaa dari
PhD. Program in Teaching and Learning, Department of Humanitarian Sciences, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine

Abstract
Educational systems worldwide have increasingly adopted large-scale assessment as a principal mechanism for evaluating educational quality and informing policy decisions. Nevertheless, this expansion has reinforced a reductionist tendency to conceptualize learning through measurable quantitative indicators while overlooking its complex cognitive, social, and cultural dimensions. Against this background, the present study aims to analyze the theoretical foundations underpinning educational system evaluation, examine the influence of global educational governance on the concept of educational quality, and explore the epistemological and methodological limitations of prevailing assessment models.
The study employs a critical analytical approach based on a comprehensive review and analysis of contemporary educational literature and international policy discourse on educational system evaluation. It further adopts a comparative conceptual analysis of the frameworks underlying large-scale

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

international assessments and relates them to contemporary learning theories and the philosophy of educational assessment. The findings indicate that the dominance of quantitative measurement has substantially reshaped the concept of educational quality by emphasizing standardized performance indicators, thereby narrowing the representation of learning and overlooking many of its cognitive, social, and cultural dimensions. The analysis further demonstrates that, although international assessments provide valuable evidence for educational accountability and cross-national comparison, they are insufficient to capture the complexity of learning processes within classroom contexts. Consequently, the study argues for more comprehensive evaluation approaches that integrate quantitative measurement with qualitative analysis and conceptualize learning as a dynamic process shaped by the interaction between knowledge, experience, and context. The study contributes a critical conceptual perspective that repositions educational evaluation within a broader philosophy of learning and proposes a more balanced framework capable of supporting educational policies that promote deep learning, acknowledging individual differences, and balance accountability with meaningful educational development.

Keywords: Institutional Evaluation; Educational System Evaluation; Quality of Education; Active Learning; Educational Governance; International Assessments; Individual Differences

الملخـــص :

نظم التربية والتعليم حول العالم تشهد توسعًا متزايدًا في استخدام أدوات التقويم واسعة النطاق بوصفها مرجعًا رئيسًا للحكم على جودة التعليم وتوجيه السياسات التربوية، إلا أن هذا التوسع ارتبط بتنامي نزعة اختزالية تميل إلى حصر التعلم في مؤشرات كمية قابلة للقياس، متجاهلةً طبيعته بوصفه عملية إنسانية مركبة تتداخل فيها الأبعاد المعرفية والاجتماعية والثقافية. وانطلاقًا من هذه الإشكالية، يهدف هذا البحث إلى تحليل الأسس النظرية التي تستند إليها نماذج تقويم منظومات التربية والتعليم، ومناقشة التحولات التي أحدثتها الحوكمة التعليمية العالمية في مفهوم جودة التعليم، والكشف عن الحدود المعرفية والمنهجية للنماذج التقويمية السائدة. اعتمد البحث المنهج التحليلي النقدي، من خلال مراجعة وتحليل الأدبيات التربوية المعاصرة والخطاب الدولي المتعلق بتقويم النظم التعليمية، مع إجراء قراءة مقارنة للمفاهيم والنماذج التي تقوم عليها التقييمات الدولية واسعة النطاق، وربطها بالاتجاهات الحديثة في نظريات التعلم وفلسفة التقويم التربوي. وأظهرت نتائج التحليل أن هيمنة منطق

القياس الكمي أسهمت في إعادة تعريف جودة التعليم وفق مؤشرات أداء معيارية، الأمر الذي أدى إلى تضييق تمثيل التعلم واختزال كثير من أبعاده المعرفية والاجتماعية والثقافية. كما بينت النتائج أن الاختبارات الدولية، رغم أهميتها في دعم المساءلة التعليمية وتوفير بيانات مقارنة بين النظم التعليمية، لا تستطيع بمفردها تمثيل التعقيد الحقيقي لعمليات التعلم داخل البيئات الصفية، مما يستدعي تبني مقاربات تقويمية أكثر شمولًا تجمع بين القياس الكمي والتحليل النوعي، وتربط التقويم بطبيعة التعلم بوصفه عملية ديناميكية تتفاعل فيها المعرفة والخبرة والسياق. وتتمثل القيمة العلمية للدراسة في تقديم قراءة تحليلية نقدية تعيد تأطير العلاقة بين التقويم وجودة التعليم، وتقترح تصورًا مفاهيميًا أكثر اتساقًا مع التحولات المعرفية المعاصرة، بما يسهم في تطوير سياسات تقويم تربوية تراعي التعلم العميق، والفروق الفردية، والتوازن بين متطلبات المساءلة وبناء المعنى التربوي.

الكلمات المفتاحية: التقويم المؤسسي، تقويم منظومات التعليم، جودة التعليم، التعليم النشط، الحوكمة التعليمية، الاختبارات الدولية، الفروق الفردية.

المقدمـــــة:

شـــهدت العقود الأخـيرة تحولًا جوهريًا في موقع التقويم داخل النظم التعليمية، فلم يعد يُنظر إليه بوصفه أداة فنية لقياس تحصيل المتعلمين فحسب، بل أصبح أحد المكونات الرئيسة لحوكمة التعليم وصناعة السياسات التربوية.

ومع اتساع تأثير المؤسسات الدولية، تصاعد الاعتماد على الاختبارات واسعة النطاق ومؤشرات الأداء المقارنة بوصفها مرجعًا للحكم على جودة النظم التعليمية، الأمر الذي نقل التقويم من مستوى الممارسة الصفية إلى مستوى إدارة المنظومات التعليمية وتوجيه أولوياتها الإصلاحية (OECD, 2022؛ Breakspear, 2022). وقد رافق هذا التحول صعود ما يمكن وصفه بثقافة القياس القائم على البيانات (Data-driven Accountability)، حيث أصبحت مؤشرات الأداء والنتائج الكمية تمثل لغة مشتركة في تقييم المدارس والمعلمين والطلبة، وفي مقارنة الدول على المستوى الدولي. وأسهم هذا التوجه في تعزيز مبادئ الشفافية والمساءلة، كما وفر قواعد بيانات واسعة لدعم اتخاذ القرار التربوي، إلا أنه أثار في الوقت نفسه نقاشًا علميًا متناميًا حول حدود قدرة هذه المؤشرات على تمثيل التعلم بوصفه ظاهرة إنسانية معقدة تتشكل داخل سياقات معرفية وثقافية واجتماعية متعددة (Biesta, 2022؛

Williamson, 2023). وفي هذا السياق اكتسبت برامج التقويم الدولية، وفي مقدمتها Programme for International Student Assessment (PISA)، مكانة مركزية في رسم السياسات التعليمية، حتى أصبحت نتائجها مرجعًا لتقويم جودة التعليم وإعادة هيكلة المناهج واستراتيجيات التدريس في كثير من الدول. غير أن الأدبيات التربوية الحديثة تشير إلى أن القيمة الحقيقية لهذه البرامج لا تكمن في إنتاج الترتيبات الدولية بقدر ما تتمثل في قدرتها على توفير بيانات تساعد في فهم أداء النظم التعليمية، شريطة ألا تتحول هذه البيانات إلى غاية في ذاتها أو إلى معيار وحيد للحكم على جودة التعليم (Breakspear, 2022 ؛Fullan et al., 2020).

في المقابل تؤكد الاتجاهات الفلسفية والنقدية المعاصرة أن التعلم لا يمكن اختزاله في مجموعة من النتائج القابلة للقياس، لأن بناء المعرفة يتداخل مع الخبرة والسياق والثقافة والهوية والقيم، وهي أبعاد لا تستطيع الاختبارات المعيارية تمثيلها بصورة كاملة. ولذلك برز اتجاه يدعو إلى إعادة النظر في فلسفة التقويم ذاتها، والانتقال من التركيز على قياس المخرجات إلى فهم العمليات التي تُنتج التعلم والمعنى داخل البيئات التعليمية (Biesta, 2022 ؛Hordern, 2021). وعلى الرغم من اتساع الأدبيات التي تناولت تقويم النظم التعليمية والاختبارات الدولية، فقد انصبت غالبية الدراسات على تطوير أدوات القياس، وتحليل نتائج التقييمات واسعة النطاق، وقياس أثرها في السياسات التعليمية، بينما حظيت الأسس الفلسفية والمعرفية التي يقوم عليها التقويم باهتمام أقل نسبيًا. كما أن كثيرًا من هذه الدراسات تناولت جودة التعليم من منظور المؤشرات الكمية، دون مناقشة كافية للتوتر القائم بين منطق القياس ومنطق المعنى، وما يترتب على هذا التوتر من اختزال محتمل لطبيعة التعلم بوصفه عملية إنسانية مركبة.

وانطلاقًا من ذلك يستخدم هذا البحث مفهوم منطق المعنى للدلالة على الأبعاد المعرفية والقيمية والاجتماعية التي تتشكل من خلالها خبرة التعلم، والتي لا يمكن التعبير عنها بصورة كاملة من خلال مؤشرات الأداء أو نتائج الاختبارات وحدها. ومن ثم فإن الإشارة إلى حدود القياس لا تمثل رفضًا للتقويم الكمي، وإنما دعوة إلى توسيع إطاره النظري ليصبح أكثر قدرة على استيعاب التعقيد الحقيقي للتعلم داخل المؤسسات التعليمية.

وفي ضوء هذا الجدل تنطلق الدراسة من فرضية مؤداها أن الإشكالية الرئيسة لا تكمن في أدوات التقويم ذاتها، وإنما في الفلسفة التي تحكم استخدامها، وفي طبيعة التصور الذي تتبناه النظم التعليمية حول معنى التعلم وجودته. ومن هنا تسعى الدراسة إلى تحليل الأسس النظرية التي يقوم عليها تقويم النظم التعليمية، ومناقشة أثر الحوكمة التعليمية والاختبارات الدولية في إعادة تشكيل مفهوم الجودة، وصولًا إلى اقتراح إطار مفاهيمي أكثر تكاملًا يوازن بين متطلبات القياس والمساءلة من جهة، وبين طبيعة التعلم بوصفه عملية إنسانية ديناميكية من جهة أخرى.

وتتمثل إشكالية الدراسة في السؤال الرئيس الآتي:

إلى أي مدى تستطيع النماذج السائدة في تقويم النظم التعليمية تحقيق التوازن بين متطلبات القياس والمساءلة، وبين الحفاظ على المعنى التربوي للتعلم بوصفه عملية معرفية وإنسانية معقدة؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة الآتية:

1ـ ما الأسس النظرية التي تستند إليها نماذج تقويم النظم التعليمية في الأدبيات المعاصرة؟

2ـ كيف أعادت الحوكمة التعليمية والاختبارات الدولية تشكيل مفهوم جودة التعليم؟

3ـ ما الحدود المعرفية والمنهجية للنماذج الكمية السائدة في تقويم التعليم؟

4ـ كيف يمكن بناء إطار مفاهيمي أكثر شمولًا يجمع بين القياس الكمي والتحليل النوعي في تقويم النظم التعليمية؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل الأسس النظرية والفلسفية التي تقوم عليها منظومات تقويم التعليم المعاصرة، والكشف عن التوتر القائم بين منطق القياس الكمي ومنطق المعنى التربوي، بما يسهم في بناء رؤية أكثر شمولًا لتقويم النظم التعليمية. ويتحقق ذلك من خلال الأهداف الآتية:

ـ تحليل التطور المفاهيمي والفلسفي لنماذج تقويم النظم التعليمية، وبيان الأسس المعرفية التي استندت إليها في الأدبيات التربوية المعاصرة.

ـ تفسير أثر الحوكمة التعليمية والاختبارات الدولية واسعة النطاق في إعادة تشكيل مفهوم جودة التعليم، وفي توجيه سياسات التقويم على المستويين الوطني والدولي.

ـ نقد الحدود المعرفية والمنهجية للنماذج التقويمية السائدة التي تعتمد بصورة رئيسة على المؤشرات الكمية، ومناقشة قدرتها على تمثيل التعقيد الحقيقي لعمليات التعلم.
ـ تطوير إطار مفاهيمي تكاملي لتقويم النظم التعليمية يوازن بين متطلبات القياس والمساءلة من جهة، وبين الأبعاد المعرفية والاجتماعية والإنسانية للتعلم من جهة أخرى، بما يعزز بناء نظم تقويم أكثر اتساقًا مع تحولات التعليم المعاصر.

أهمية البحث:

تنبع أهمية هذا البحث من معالجته لإحدى القضايا المحورية في الفكر التربوي المعاصر، والمتمثلة في إعادة النظر في الأسس التي تقوم عليها منظومات تقويم التعليم في ظل التوسع في الحوكمة التعليمية والاختبارات الدولية واسعة النطاق. ويسعى إلى تجاوز النظر إلى التقويم بوصفه أداة لقياس المخرجات فقط، من خلال مناقشة علاقته بطبيعة التعلم وجودته، والكشف عن التوتر القائم بين منطق القياس ومنطق المعنى في العملية التربوية. كما تكتسب الدراسة أهميتها من تقديم إطار مفاهيمي تحليلي يدمج بين الأبعاد الكمية والنوعية في تقويم النظم التعليمية، بما يسهم في إثراء الأدبيات التربوية، ويفيد الباحثين وصناع السياسات في تطوير نماذج تقويم أكثر شمولًا، تراعي التعقيد الحقيقي لعمليات التعلم، وتوازن بين متطلبات المساءلة والحفاظ على البعد الإنساني للتعليم

منهجية البحث:

اعتمد هذا البحث المنهج التحليلي النقدي؛ لملاءمته لطبيعة الدراسة التي تستهدف تحليل الأسس النظرية والفلسفية التي تقوم عليها منظومات تقويم التعليم، والكشف عن الافتراضات المعرفية الكامنة في الخطابات المعاصرة المرتبطة بجودة التعليم والحوكمة التعليمية. ولا يقتصر هذا المنهج على وصف الأدبيات، بل يتجاوز ذلك إلى تحليلها ونقدها ومقارنتها، بهدف تفسير التحولات التي شهدها مفهوم التقويم في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة. واستندت الدراسة إلى مراجعة تحليلية للأدبيات العلمية والتقارير الدولية الصادرة عن منظمات مثل OECD وWorld Bank، إلى جانب الدراسات النظرية الحديثة في مجالات التقويم التربوي، والحوكمة التعليمية، وفلسفة التعليم، وتحليل السياسات التعليمية. وتمثلت وحدة التحليل في المفاهيم والنماذج النظرية والخطابات التربوية المرتبطة بتقويم النظم التعليمية، من خلال تحليل

مضامينها، والكشف عن نقاط الاتفاق والاختلاف بينها، وصولًا إلى بناء إطار مفاهيمي يوازن بين منطق القياس ومنطق المعنى في تقويم التعليم

الإطار النظـــــــــــري

ينطلق هذا الإطار النظري من فرضية مركزية مفادها أن تقويم النظم التعليمية لم يعد مجرد ممارسة تقنية لقياس التحصيل، بل أصبح بنية معرفية - سياسية تعكس تحولات عميقة في فهم المعرفة، ودور المدرسة، ووظيفة التعليم داخل المجتمعات المعاصرة. وفي هذا السياق، لا يمكن فهم التقويم بمعزل عن التحولات التي شهدتها فلسفة التعليم، خصوصًا مع صعود المقاربات القائمة على البيانات والمساءلة (Biesta, 2020; Williamson, 2023).

أولًا ـ التحول المفاهيمـــــي في تقويم التعليم:

تشير الأدبيات التربوية الحديثة إلى أن تقويم التعليم انتقل تدريجيًا من كونه أداة تشخيصية داخل الصف إلى كونه نظامًا معياريًا عالميًا لإنتاج المقارنات بين الدول والمؤسسات التعليمية. وقد ارتبط هذا التحول بتوسع الاختبارات الدولية واسعة النطاق مثل PISA وTIMSS، والتي أعادت تشكيل مفهوم الجودة التعليمية ليصبح مرتبطًا بما يمكن قياسه كمّيًا وقابلًا للمقارنة (OECD, 2022). غير أن هذا التحول لم يكن محايدًا معرفيًا، بل أسهم في إعادة تعريف "التعلم الجيد" بوصفه أداءً قابلاً للقياس، مما أدى إلى تضييق المجال التربوي لصالح المؤشرات الإحصائية على حساب المعاني التربوية العميقة.

وفي المقابل، تؤكد الاتجاهات النقدية في الأدبيات المعاصرة أن التعلم لا يمكن اختزاله في نتائج اختبارية، لأنه عملية بنائية تتداخل فيها المعرفة مع السياق والخبرة والمعنى (Biesta, 2020). ومن هنا نشأ التوتر بين منطق القياس ومنطق المعنى، وهو التوتر الذي يشكل البنية التفسيرية الأساسية لهذا البحث.

ثانيًا ــ التقويم في سياق الحوكمة التعليمية والبيانات:

مع التحول نحو الحوكمة القائمة على البيانات، أصبحت النظم التعليمية تعتمد بشكل متزايد على المؤشرات الرقمية في اتخاذ القرار التربوي (Williamson, 2023). وقد أدى ذلك إلى ما يمكن تسميته بـ "تحويل التعليم إلى بيانات" (Datafication of Education)، حيث يتم تحويل التعلم إلى وحدات قابلة للرصد والتحليل الكمي. ورغم أن هذا التحول عزز الشفافية والمساءلة، إلا أنه أنتج في الوقت نفسه نوعًا من

"تبسيط التعقيد التربوي "، حيث يتم تجاهل البعد السياقي والاجتماعي للتعلم لصالح مؤشرات معيارية موحدة.

وتشير تقارير البنك الدولي إلى أن استخدام البيانات في التعليم أصبح جزءًا من سياسات التنمية العالمية، حيث يتم ربط جودة التعليم بمؤشرات الأداء الاقتصادي والاجتماعي (World Bank, 2021). غير أن هذا الربط يعزز الطابع الأداتي للتعليم، ويقلل من حضوره كخبرة إنسانية مركبة.

ثالثًا ـ الكفايات والتعلم العميق بوصفه إطارًا بديلًا:

في مقابل النماذج القياسية، ظهرت مقاربات الكفايات بوصفها محاولة لإعادة ربط التعلم بالسياق الواقعي، من خلال التركيز على ما يستطيع المتعلم القيام به في مواقف حياتية معقدة. إلا أن هذا التوجه نفسه لم يسلم من النقد، إذ تشير الأدبيات الحديثة إلى أن تحويل الكفايات إلى مؤشرات أداء قد يؤدي إلى إعادة إنتاج نفس منطق القياس الذي يسعى إلى تجاوزه (Hordern, 2021; Wheelahan, 2020).

ومن هنا يظهر أن الإشكالية ليست في الكفايات بوصفها مفهومًا، بل في كيفية تحويلها إلى أدوات قياس معيارية تفصل الأداء عن المعنى. لذلك، فإن التحدي الحقيقي يكمن في الحفاظ على الطابع الإنساني للتعلم داخل أي إطار تقويمي.

رابعًا ـ نحو فهم تكاملي لتقويم التعليم:

تدعو الاتجاهات التربوية الحديثة إلى تبني نموذج تكاملي في التقويم يجمع بين القياس الكمي والتحليل النوعي، ويعيد الاعتبار للسياق والمعنى داخل العملية التعليمية (Fullan et al., 2020). كما تؤكد هذه الأدبيات أن جودة التعليم لا يمكن اختزالها في نتائج الاختبارات، بل يجب أن تشمل القدرة على التفكير النقدي، وحل المشكلات، والتعلم المستمر، وبناء المعنى. وفي هذا الإطار يصبح التقويم عملية فهم وليست مجرد عملية قياس، أي أنه أداة لتفسير التعلم وليس فقط لتصنيفه. وهذا التحول يعيد ربط التقويم بفلسفة التعليم بدلًا من تقنيات القياس فقط، وهو ما يشكل جوهر التحول النظري الذي يناقشه هذا البحث.

يتضح من العرض السابق أن مفاهيم: التقويم المؤسسي، جودة التعليم، الحوكمة التعليمية، الاختبارات الدولية، الكفايات، والفروق الفردية، ليست مفاهيم منفصلة، بل تشكل شبكة مفاهيمية واحدة تدور حول سؤال مركزي: كيف يمكن قياس التعلم دون

فقدان معناه الإنساني؟ هذا السؤال هو الذي يعيد تنظيم العلاقة بين جميع مفردات البحث، ويشكل الجسر بين الإطار النظري والتحليل لاحقًا

التحليل والمناقشة:

في ضوء الإطار النظري السابق، يمكن النظر إلى تقويم منظومات التربية والتعليم بوصفه مجالًا تتقاطع فيه اعتبارات تربوية ومعرفية وسياسية في آن واحد. فالتقويم لم يعد مجرد أداة تقنية لقياس تحصيل المتعلمين، بل أصبح عنصرًا محوريًا في بنية الحوكمة التعليمية (Educational Governance) وفي آليات المساءلة التعليمية (Educational Accountability) التي تعتمدها الدول والمؤسسات الدولية لتقييم جودة التعليم.

أولًا ـ الأسس النظرية لتقويم منظومات التعليم:

تشير الأدبيات التربوية المعاصرة إلى أن نماذج تقويم التعليم تطورت تاريخيًا ضمن إطارين رئيسيين. يتمثل الأول في النموذج القياسي الذي يركز على قياس المخرجات التعليمية القابلة للتكميم من خلال الاختبارات المعيارية والمؤشرات الإحصائية، وهو النموذج الذي عززته التقييمات الدولية واسعة النطاق مثل Programme for International Student Assessment و Trends in International Mathematics and Science Study. أما الإطار الثاني فيرتبط باتجاهات تربوية حديثة ترى أن التقويم ينبغي أن يكون جزءًا من عملية التعلم نفسها، بحيث يسهم في دعم بناء المعرفة وتنمية مهارات التفكير العليا لدى المتعلمين. ومن هذا المنظور، يتقاطع تقويم التعليم مع مفاهيم تربوية أساسية مثل التمركز حول المتعلم (Student-Centered Learning) والتميّز التربوي (Excellence in Education)، إذ يصبح الهدف من التقويم ليس فقط قياس ما يعرفه المتعلم، بل فهم الكيفية التي يبني بها المعرفة ويطبقها في سياقات مختلفة.

ثانيًا ـ التحولات العالمية في تقويم النظم التعليمية:

أسهمت المؤسسات الدولية خلال العقود الأخيرة في إعادة تشكيل مفهوم تقويم التعليم من خلال تطوير مؤشرات مقارنة بين الدول وربطها بأجندات التنمية الاقتصادية. وقد لعبت Organisation for Economic Co-operation and Development دورًا بارزًا في هذا المجال من خلال برامج التقييم الدولية التي تسعى إلى قياس قدرة المتعلمين على توظيف المعرفة في مواقف حياتية.

كما اعتمدت مؤسسات دولية أخرى مثل World Bank على مؤشرات تعليمية متعددة لقياس كفاءة النظم التعليمية وربطها بمؤشرات التنمية البشرية. وقد أدى هذا التوجه إلى تعزيز ثقافة التقييم واسع النطاق (Large-scale Assessment) وإلى توسيع دور البيانات التعليمية في توجيه السياسات التربوية. غير أن هذا التحول، رغم أهميته في تعزيز الشفافية والمساءلة، يثير تساؤلات حول مدى قدرة هذه المؤشرات على تمثيل التعقيد الحقيقي لعمليات التعلم داخل البيئات التعليمية، خاصة في ظل التنوع الثقافي والاجتماعي بين النظم التعليمية المختلفة.

ثالثًا ـ العلاقة بين التقويم وجودة التعليم:

يظهر من تحليل الأدبيات أن العلاقة بين تقويم النظم التعليمية (Educational System Evaluation) وجودة التعليم (Quality of Education) علاقة مركبة تتجاوز مجرد قياس نتائج التعلم. فالتقويم يمكن أن يسهم في تحسين جودة التعليم عندما يستخدم بوصفه أداة تشخيصية تساعد المعلمين والمؤسسات التعليمية على فهم عمليات التعلم وتطويرها.

وفي المقابل، قد يؤدي الاعتماد المفرط على الاختبارات المعيارية إلى تضييق مفهوم الجودة التعليمية، بحيث يتم اختزالها في مؤشرات أداء محدودة. وفي هذه الحالة تصبح العملية التعليمية موجهة نحو تحقيق نتائج مرتفعة في الاختبارات بدل تعزيز الفهم العميق للمعرفة. ومن هنا تبرز أهمية تبني نماذج تقويم تراعي التنوع والفروقات الفردية (Diversity & Individual Differences) بين المتعلمين، وتدعم استراتيجيات التمايز (Differentiation) في التعليم، بما يسمح بتطوير بيئات تعلم أكثر شمولًا وقدرة على تحقيق التميز التربوي.

الخاتمة:

تكشف هذه الدراسة أن تقويم النظم التعليمية لم يعد مجرد أداة تقنية لقياس التحصيل، بل تحول إلى بنية مركزية داخل منظومات الحوكمة التعليمية، تُسهم في توجيه السياسات وصياغة مفهوم جودة التعليم على المستويين المحلي والدولي. غير أن هذا التحول، رغم ما يوفره من أدوات للمساءلة والشفافية، قد أدى إلى بروز إشكالية معرفية تتعلق بإمكانية اختزال التعلم في مؤشرات كمية لا تعكس تعقيده الحقيقي. وقد بيّن التحليل أن النماذج السائدة في التقويم، خاصة المعتمدة على الاختبارات المعيارية واسعة النطاق، تميل إلى إعادة إنتاج تصور جزئي للتعلم يركز

على المخرجات القابلة للقياس، في حين يُضعف حضور الأبعاد السياقية والمعرفية العميقة التي تشكل جوهر العملية التعليمية. ومن هنا تتأكد محدودية المقاربات التي تفصل بين الأداء والمعنى داخل التقويم التربوي. وتخلص الدراسة إلى أن تجاوز هذه الإشكالية لا يتحقق عبر رفض أدوات القياس، بل عبر إعادة بناء فلسفة التقويم نفسها، بحيث تقوم على تكامل بين القياس الكمي والتحليل النوعي، بما يسمح بفهم التعلم بوصفه عملية إنسانية ديناميكية تتشكل داخل سياقات اجتماعية وثقافية ومعرفية معقدة. وبذلك يصبح التقويم أداة لفهم التعلم وتطويره، لا مجرد وسيلة للحكم عليه.

وفي ضوء ذلك تؤكد الدراسة أن جودة التعليم لا يمكن اختزالها في مؤشرات أداء معيارية، بل ينبغي أن تُفهم بوصفها قدرة النظام التعليمي على إنتاج تعلم عميق، مستدام، وقابل للتوظيف في الحياة الواقعية ضمن أفق إنساني ومعرفي متكامل

النتائـــــــــج :

في ضوء التحليل السابق يمكن تلخيص النتائج الفكرية الرئيسة للبحث في ثلاث ملاحظات أساسية:

أولاً ـ هيمنة المنطـــق القياســـي : يشير تطور سياسات التقويم إلى ميل واضح نحو جعل المؤشـــرات الكمية والاختبارات واسعة النّطاق المرجع الأساسي للحكم على أداء النظم التعليمية.

ثانياً ــ فجـــوة التمثيل: يكشف التحليل عن فجوة بين ما تقيسه أدوات التقويم وما يحدث فعلياً داخل الصفوف، حيث تعجز العديد من هذه الأدوات عن التقاط الأبعاد المعرفية والاجتماعية المعقدة للتعلم.

ثالثاً ـ الحاجة إلى التكامل المنهجـــي: تؤكّد الأدبيات الحاجة إلى نماذج تقويم متعددة الأبعاد تجمع بين القياس الكمي والتحليل النوعي، تراعي طبيعة التعلم كعملية ديناميكية تتفاعل فيها المعرفة مع السياق والخبرة الإنسانية.

التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة، أقترح التوصيات التالية:

1- التكامل المنهجي: تطوير نماذج تقويم تجمع بين القياس الكمي والتحليل النوعي، بحيث لا يقتصر الحكم على جودة التعليم على نتائج الاختبارات المعيارية، بل يمتد لتحليل عمليات التعلم وأساليب التدريس والتفاعل الصفي.

2- إعادة تأهيل التقييمات الدولية: توظيف اختبارات مثل PISA كأدوات تشخيصية لفهم أداء النظم التعليمية، لا كمعيار وحيد للترتيب العالمي أو للحكم على الجودة.

3- مراعاة الفروق الفردية: تعزيز توجهات التمركز حول المتعلم (Student-Centered Learning) داخل أنظمة التقويم، عبر تصميم أدوات تراعي التنوع (Individual Differences) وتدعم استراتيجيات التمايز (Differentiation).

4- توسيع مفهوم الجودة: تجاوز المخرجات الأكاديمية نحو مفهوم أوسع لجودة التعليم (Quality of Education) يشمل الأبعاد المعرفية والاجتماعية والثقافية، ويرسخ التقويم كأداة لدعم التميز التربوي (Excellence) وتنمية مهارات التفكير الناقد وحل المشكلات.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

المراجـــــــــــع:

- Biesta, G. (2020). Educational assessment and the measurement of learning: Beyond the limits of testing. Routledge.
- Breakspear, S. (2022). The impact of international large-scale assessments on education policy. OECD Publishing.
- Fullan, M., Quinn, J., Drummy, M., & Gardner, M. (2020). Education Reimagined: The Future of Learning. Corwin.
- Hordern, J. (2021). Knowledge, education, and the limits of competence-based approaches. Journal of Philosophy of Education, 55(4–5), 749–763.
- Organisation for Economic Co-operation and Development. (2022). PISA 2022 results: What students know and can do. OECD Publishing.
- Priestley, M., Biesta, G., & Robinson, S. (2021). Teacher Agency: An Ecological Approach. Bloomsbury Academic.
- Wheelahan, L. (2020). The problem with competency-based training. Educational Philosophy and Theory, 52(5), 518–530.
- Williamson, B. (2023). Big data in education: The digital future of learning, policy and practice. Sage Publications.

• World Bank. (2021). World development report: Data for better lives. World Bank Publications.